﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾﴾ [ص: 65 - 66]

❁ مُناسَبَةُ الآيتَينِ لِما قبلَهُما:

الردُّ على شُبُهات منكري التَّوحيد والنُّبوَّة

مناسبة قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾؛ لما قبله أنَّهُ ﷺ بعدَ أنْ ذكرَ أوَّلَ السّورةِ أنَّ محمَّدًا ﷺ دعا إلى التَّوحيدِ، وأثبتَ أنَّهُ نبيٌّ، ودعا إلى الحشرِ والنَّشرِ، فقابلوهُ بالسَّفاهةِ والتَّكذيبِ، ثمَّ صبَّرَهُ على ذلكَ، وقصَّ عليهِ مِنْ قصصِ الأنبياءِ ما يكونُ سُلوةً لهُ في الصَّبرِ على الأذى، ثمَّ أردفَ ذلكَ ذكرَ ثوابِ أهلِ الجنَّةِ، وعذابِ أهلِ النّارِ؛ عادَ هنا إلى تقريرِ ما ذكرَهُ أوَّلَ السّورةِ، وهو تقريرُ التَّوحيدِ والنُّبوَّةِ والبعثِ[1]، ثمَّ لمّا كان ذكرُ قهرِ اللهِ مُشعِرًا بالتَّرهيبِ والتَّخويفِ؛ أردفَهُ بما يدلُّ على الرَّجاءِ والتَّرغيبِ، فقال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ﴾[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُنذِرٌ﴾: (نذر) أصلٌ يدلُّ على تخويفٍ، ومنهُ: الإنذارُ، وهو الإبلاغُ بما فيهِ تخويفٌ، واشتُقَّ منهُ النَّذيرُ، وهو المُنذِر، ويُطلق على كلِّ شيءٍ فيه إنذارٌ، إنسانًا كان أو غيرَه[3]، والمرادُ بالمُنذِرِ هنا: المُخوِّفُ بعذابِ اللهِ[4].

2) ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾: (قهر) أصلٌ يدلُّ على غلَبةٍ وعلوٍّ وتذليلٍ، ومِنْ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 406، والطيبي، فتوح الغيب: 13/ 314.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 406.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (نذر).
(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 33.

ذلكَ يقالُ: قهرَهُ قَهْرًا، أي: غلبَهُ[1]، وأخذَهُ مِنْ غيرِ رِضاهُ[2]، وأقهرَهُ؛ إذا سلَّطَ عليهِ مَنْ يقهرُهُ، والقهّارُ هو الغالبُ[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

النَّبيُّ داعٍ إلى عبادةِ اللهِ الواحدِ

يأمرُ اللّهُ تعالى نبيَّهُ محمَّدًا ﷺ أنْ يقولَ للمشركينَ مِنْ قومِهِ ومَنْ على شاكلتِهم: ما أنا إلّا رسولٌ مُنذِرٌ لكُم بينَ يدَيْ عذابٍ شديدٍ، ولستُ ساحرًا كذّابًا، كما تدَّعونَ، واعلَموا أنَّهُ ما مِنْ معبودٍ تصلحُ لهُ العبادةُ إلّا اللّهُ الواحدُ الَّذي لا ينبغي أنْ يكونَ لهُ في مُلْكِهِ شريكٌ، ولا يَقبل الشِّركة، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فهو المتفرِّد بالوحدانيَّة، وهو القهّارُ لكلِّ ما دونَهُ بقدرتِهِ، مالكُ العوالمِ كلِّها في السَّماواتِ والأرضِ وما بينَهما، العزيزُ الَّذي لا يغالبه مغالِبٌ في أمرٍ من أموره، وهو معَ ذلكَ الغفّارُ لذنوبِ مَنْ شاءَ من عباده.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصلِ الآية:

الـرَّدُّ على مُنكِري النُّبوَّةِ والوحدانيَّةِ

فُصِلَ قولُ اللّه تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّهُ استئنافٌ ابتدائيٌّ مَسوقٌ لغرضٍ جديدٍ، وهو راجعٌ إلى قولِهِ تعالى أوَّلَ السّورة: ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤﴾ [ص: 4]، وإلى قولِهِ بعدَه: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [ص: 8]، فلمّا أجابَهم عن ذلكَ التَّكذيبِ بأنْ نظَّرَ حالَهم بحالِ الأممِ المكذِّبةِ مِن قبلِهم، ونظَّرَ حالَ الرَّسولِ ﷺ بحالِ الأنبياءِ الَّذينَ صبروا؛ عادَ الكلامُ إلى تحقيقِ مقامِ الرَّسولِ ﷺ مِنْ قومِهِ، فأمرَهُ اللّهُ أنْ يقولَ: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ مقابلَ قولِهم: ﴿هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤﴾ [ص: 4]، وأنْ يقولَ: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ مقابلَ إنكارِهم التَّوحيدَ بقولِهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: 5][4].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والجوهري، الصحاح: (قهر).
(2) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (قهر).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 295.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 294 - 295.

سرُّ افتتاحِ الآيةِ بـ﴿قُلْ﴾:

الخطابُ تشريفٌ وعنايةٌ

افتُتِحَ قولُ الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ بالأمرِ بالقولِ لإظهارِ العنايةِ بما بعدَ فعلِ القولِ، ولتشريفِ المُخاطَبِ بعزِّ الخطابِ والحضورِ، وعزِّ التَّكليفِ بتبليغِ مضمونِ هذا الكلامِ، وشرفِ إقامةِ الحُجَّةِ على المشركينَ.

تعيينُ المُخاطَبِ بـ﴿قُلْ﴾:

المُخاطَبُ في قولِ الباري ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ هو النَّبيُّ ﷺ[1]؛ إذ هو النَّبيُّ المُرسَلُ، وهو المُكلَّفُ بتبليغِ الوحيِ، وتقريرِ النُّبوَّةِ والرِّسالةِ.

دلالةُ الأمرِ بالقولِ:

وجوبُ تقريرِ النُّبوَّةِ والوحدانيَّةِ

الأمرُ في قولِ الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ للوجوبِ؛ إذ هو الأصلُ، ولا مُقتضيَ للعدولِ عنهُ، بل مقامُ التَّكليفِ بتقريرِ النُّبوَّةِ والرِّسالةِ يقتضيهِ، وهذا واضحٌ من خلال آياتِ القرآنِ التي بيَّنت دَورَ رسولِ الله ﷺ في البلاغِ عن ربِّه.

سرُّ عدمِ ذكرِ المَقولِ لهُم:

إثباتُ عالميَّة رسالته ﷺ لكلِّ العالمين

الظّاهرُ أنَّ المَقولَ لهُم: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ هم مشركو مكَّةَ[2]، ولم يُذكَروا لظهورِ الأمرِ مِنَ المقامِ، وليكونَ الكلامُ صالحًا لأنْ يوجَّهَ للنّاسِ جميعًا إلى قيامِ السّاعةِ، فتبقَى أصداءُ هذهِ الجملةِ: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ تتردَّدُ في جَنَباتِ الدَّهرِ، إلى أنْ يَرِثَ اللّهُ الأرضَ ومَنْ عليها، فالنَّبيُّ ﷺ رسولُ العالمينَ، وليسَ رسولًا إلى قومٍ بعينِهم، وفيه إشارةٌ إلى التَّهوينِ من شأنِ مشركي مكَّةَ، بعدمِ ذكرِهم في توجيهِ القولِ إليهم.

بلاغةُ اسميَّةِ جملةِ المَقولِ:

جيءَ بالجملةِ الاسميَّةِ في مَقولِ القولِ من الآيةِ الكريمةِ: ﴿قُلْ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 234.

(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 104.

﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ قصرَهُ ﷺ على النِّذارةِ أمرٌ ثابتٌ دائمٌ، لا شكَّ فيه، ولا ارتيابَ.

بلاغةُ القصرِ بـ﴿إِنَّمَآ﴾:

النَّبيُّ مقصورٌ على النِّذارة، وليس ساحرًا كما زعموا

القصرُ في قولِ الباري ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ قصرُ موصوفٍ – وهو النَّبيُّ ﷺ – على صفةٍ، وهي النِّذارةُ، أي: (إنَّما أنا متَّصفٌ بالنِّذارةِ، لا أتعدّاها إلى الاتِّصافِ بغيرِها مِنَ الصِّفاتِ)، وهذا القصرُ إضافيٌّ، بالنِّسبةِ إلى ما اتَّهموهُ بهِ ﷺ مِنَ السِّحرِ والكذبِ، أي: (إنَّما أنا مُنذِرٌ، لا ساحرٌ ولا كذّابٌ كما تدَّعونَ)[1]، فيكونُ قصرَ قلبٍ، أو هو قصرٌ إضافيٌّ، بالنِّسبةِ إلى ظنِّهم أنَّهُ ﷺ إلهٌ قادرٌ على الإتيانِ بما يستعجلونَ بهِ مِنَ العذابِ، أي: (إنَّما أنا مُنذِرٌ، لا إلهٌ كما تظنّونَ)، وهو قصرٌ للموصوفِ على الصِّفةِ قصرَ قلبٍ أيضًا[2].

بلاغةُ التَّعبيرِ باسمِ الفاعلِ ﴿مُنذِرٌ﴾:

رسوخُ النَّبيِّ ﷺ في صفةِ النِّذارةِ

عُبِّرَ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ في قولِ اللهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾؛ لأنَّ اسمَ الفاعلِ يفيدُ الثَّباتَ، فيفيدُ رسوخَ اتِّصافِهِ ﷺ في صفةِ النِّذارةِ، وفي ذلكَ تقويةٌ لفائدةِ القصرِ، وتنبيهٌ على غايةِ حرصِهِ ﷺ على تحذيرِ النّاسِ ممّا يُعرِّضُهم لسَخَطِ اللهِ ونِقْمتِهِ.

نكتةُ التَّعبيرِ بالمُنذِرِ دونَ النَّذيرِ:

المُنذِرُ أنسبُ بتجاوبِ أطرافِ النَّظمِ

عُبِّرَ بالمُنذِرِ دونَ النَّذيرِ في قولِ اللهِ تعالى ذكرُهُ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾؛ لأنَّ هذهِ الآيةَ راجعةٌ إلى قولِهِ تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤﴾ [ص: 4]؛ للرَّدِّ على اتِّهامِ المشركينَ للنَّبيِّ ﷺ بالسِّحرِ والكذبِ، ولتقريرِ حقّيَّةِ نبوَّتِهِ، وقد عُبِّرَ هناكَ بالمُنذِرِ، فعُبِّرَ بهِ هنا أيضًا موافقةً لهُ، لتتجاوبَ أطرافُ الكلامِ، ويقوَى الارتباطُ والالتئامُ.

(1) الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 318، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 443.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 413.

دلالةُ عدم ذكر متعلّق ﴿مُنذِرٌ﴾:

المُنذَرُ بهِ شأنُهُ عظيمٌ

أُطلِقَ لفظُ المُنذِر في قولِ اللّهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾، ولم يُذكَرِ المُنذَرُ ولا المُنذَرُ بهِ؛ لظهورِهِ مِنَ السّياقِ؛ إذ المُنذَرونَ هم كفّارُ قريشٍ ومَنْ على شاكلتِهم، والمُنذَرُ بهِ هو عقابُ اللّهِ تعالى، وفي الإطلاقِ تفخيمٌ لشأنِ المُنذَرِ بهِ وتعظيمٌ لهُ[1]؛ لتذهبَ النَّفسُ في تقديرِهِ كلَّ مذهبٍ ممكنٍ، وفي ذلك من البلاغة ما فيه؛ لأنَّ ما لا يحتاج إلى الذِّكر، بل يُفهم من السّياق؛ كان تركُه من بلاغة الإيجاز.

سرُّ الاقتصارِ على النِّذارةِ:

الوعيدُ والتَّهديدُ مناسبٌ بالمشركينَ

اقتُصِرَ في قولِ اللّهِ تعالى ذكرُهُ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ على ذكرِ النِّذارةِ دونَ البِشارةِ، معَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ متَّصفٌ بهما معًا؛ لأنَّ الكلامَ معَ المشركينَ، وهؤلاءِ يلائمُهم الإنذارُ، لِما يُلوِّحُ بهِ مِنَ الوعيدِ والتَّهديدِ[2]، ويُؤيِّدُ ذلكَ أنَّ القصرَ في الآيةِ قصرٌ إضافيٌّ بالنِّسبةِ لأحوالِهِ ﷺ نحوَ المشركينَ.

سرُّ تقديمِ النِّذارةِ على الوحدانيَّةِ:

مراعاةُ التَّرتيبِ في ردِّ شُبُهاتِ المشركينَ

قُدِّمَ قَصرُ النِّذارة في قولِ اللّهِ تعالى شأنُهُ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ على قصرِ الوحدانيَّة في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾؛ لأنَّ الكلامَ ردٌّ على قولِ المشركينَ: ﴿هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: 4 - 5]، وهم قد قدَّموا ما يتعلَّقُ بهِ ﷺ على ما يتعلَّقُ باللّهِ تعالى، فجاءَ الرَّدُّ عليهِم على هذا التَّرتيبِ، ولأنَّ تقريرَ وحدانيَّةِ اللّهِ تعالى مُتوقِّفٌ على تقريرِ صِدْقِ نبوَّتِهِ ﷺ، يضافُ إلى ذلكَ ما في تأخيرِ ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾ مِنْ مراعاةِ الفاصلةِ.

بلاغةُ عطفِ جملةِ الوحدانيَّةِ:

قولُ اللّه تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ معطوفٌ على

(1) الطيبي، فتوح الغيب: 13/ 314.

(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 443، والجمل، حاشية على الجلالين: 6/ 403.

قولِه تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾، وكلاهما مَقولُ القولِ، ونكتةُ هذا العطفِ: إفادةُ أنَّ لهُ ﷺ صفةَ الدَّعوةِ إلى توحيدِهِ ﷻ مع اتِّصافه بالإنذار أيضًا، فالأمرانِ مُستقِلّانِ بالإفادةِ[1]، ولتقريرِ ما يُفهَمُ مِنْ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ من إثبات الوحدانيَّة للّه تعالى، فهو الواحد لا شريكَ لهُ[2].

النَّبيُّ مُنذِرٌ وداعٍ إلى توحيدِ اللهِ تعالى

نكتةُ اسميَّة الجملةِ:

عُبِّرَ بالجملةِ الاسميَّةِ في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾؛ للتَّنبيهِ على أنَّ قصرَ الأُلوهيَّةِ على اللّهِ تعالى أمرٌ ثابتٌ دائمٌ، لا شكَّ فيهِ، وهو حقيقةٌ لا يعرفُ النَّقْضُ إليها طريقًا.

بلاغةُ القصرِ بالنَّفي والاستثناء:

القصرُ في قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ قصرٌ لصفةٍ – وهي الإلهيَّةُ – على موصوفٍ، وهو اللّهُ ﷻ[3]، وهو قصرٌ حقيقيٌّ؛ إذ لا معبودَ بحقٍّ إلّا اللّهُ، ومِنْ بلاغةِ هذا القصرِ في هذا المقامِ: أنَّهُ أبلغُ ردٍّ على المشركينَ الَّذينَ حُكيَ عنهُم في أوَّلِ السّورةِ قولُهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: 5][4].

لا معبودَ بحقٍّ إلّا اللهُ

دلالةُ التَّعبير بـ﴿مِنْ﴾:

جاءت ﴿مِنْ﴾ في قولِ الحقِّ جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ صلةً، لإفادةِ المبالغةِ في النَّفي وتأكيدِهِ[5] نصًّا؛ لأنَّ الاستغراقَ يُفهم من إيراد ﴿إِلَٰهٍ﴾ نكرةً في سياق النَّفي، لكنَّ التعبير بـ﴿مِنْ﴾ أضاف معنًى جديدًا، وهو أنَّ الاستغراق في نفي الآلهة جاء نصًّا لإبطال كلِّ من يدَّعي إلهًا غيرَ اللّه، ومقامُ تقريرِ وحدانيَّةِ اللّهِ تعالى؛ ردًّا على المشركينَ، يقتضي هذهِ المبالغةَ.

تقريرُ التَّوحيد ونفي الشِّرك مقصدٌ قرآنيٌّ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 210.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 443.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 413.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 295.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 413، والآلوسي، روح المعاني: 12/ 210.

نكتةُ تنكيرِ ﴿إِلَٰهٍ﴾:

تنكيرُ لفظِ الإله في قولِ الحقِّ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ لإفادةِ العمومِ؛ لأنَّ النَّكرةَ في سياقِ النَّفيِ تعمُّ، والمعنى: (ما مِنْ معبودٍ بحقٍّ أصلًا إلّا اللّهُ).

سرُّ التَّعبيرِ بالإلَه:

الإلـــهُ أنسـبُ بـمـقـامِ تـقـريـرِ الوحدانيَّةِ

عُبِّرَ بالإلَه دونَ الربِّ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾؛ لأنَّ المقامَ لتقريرِ وحدانيَّةِ اللّهِ تعالى، وانفرادِهِ باستحقاقِ العبادةِ، ولفظُ الإلهِ أنسبُ بهِ؛ لأنَّهُ يدلُّ على العبادةِ بحسَبِ أصلِ وضعِهِ[1]، فلهذا كانت فيهِ موافقةٌ لكلمةِ التَّوحيدِ، وهي (لا إلهَ إلّا اللّهُ)، وفيه ملاءمة أيضًا لمقام الرَّدِّ على قول المشركين أوَّل السّورة ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: 5].

بلاغةُ التَّعبيرِ بالاسم الأعظم ﴿ٱللَّهُ﴾:

المُـسـتـحـقُّ لـلـعـبـادةِ هو الجامعُ لصفاتِ الكمالِ والجلالِ

عُبِّرَ بالاسم الأعظم ﴿ٱللَّهُ﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾؛ لأنَّ السّياقَ للتَّوحيدِ الَّذي هو أصلُ الدّينِ، واسم اللّهِ أنسبُ بهِ؛ لأنَّهُ الاسمُ العلَمُ الجامعُ لجميعِ الأسماءِ الحُسنى، ولو شاركَهُ شيءٌ؛ لم يكنْ محيطًا[2].

سرُّ وصفِ الله بالواحد:

تـوحـيـدُ الـلـهِ مَحَطُّ العنايةِ

جيءَ بصفةِ الواحدِ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾؛ لتأكيدِ مدلولِ كلمةِ التَّوحيد[3]، ولتقويةِ الرَّدِّ على المشركينَ؛ لأنَّهم قد أقرّوا بمفهومِ الإلهيَّة، ولكنَّهم جعلوهُ عدَّةَ آلهةٍ، كما نطقَ بهِ إنكارُهم بقولِهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: 5]، فأبطلَ ﷻ اعتقادَهم هذا بإثباتِ أنَّهُ واحدٌ لا ندَّ له ولا شريكَ[4].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 413.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 413.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 295.
(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 104.

سرُّ تقديمِ الواحدِ على القهّارِ:

المُقرَّرُ مُقدَّمٌ على تقريرِهِ

قُدِّمَ ﴿ٱلۡوَٰحِدُ﴾ على ﴿ٱلۡقَهَّارُ﴾ في قولِ اللهِ تعالى شأنُهُ: ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾؛ لأنَّ اسمَ الواحدِ صريحٌ في إثباتِ الوحدانيَّةِ للهِ تعالى، وما بعدَهُ تقريرٌ لهُ، والمُقرَّرُ مُقدَّمٌ على تقريرِهِ، ولأنَّ تأخيرَ اسمِ القهّارِ أنسبُ بالفاصلةِ.

سرُّ الوصفِ بالقهّارِ:

مَنْ تفرَّدَ بالأُلوهيَّةِ قهرَ وغلبَ

جيءَ بوصفِ القهّارِ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ لتقريرِ الوحدانيَّةِ[1]؛ لأنَّ معناهُ: (القهّارُ لكلِّ شيءٍ)، فلو كانَ لهُ إلهٌ غيرُهُ لزمَ مقهوريَّتُهُ، وذلكَ مُنافٍ للأُلوهيَّةِ[2]، وفي هذا الوصفِ أيضًا تعريضٌ بتهديدِ المشركينَ بأنَّ اللهَ قادرٌ على قَهْرِهم[3]، وبذلكَ يكونُ في الكلامِ نوعٌ مِن أنواعِ مراعاةِ النَّظيرِ، وهو تشابهُ الأطرافِ، أي: ختمُ الكلامِ بما يناسبُ ابتداءَهُ في المعنى[4]، فالمقامُ هنا مقامُ وصفٍ بالتَّفرُّدِ بالأُلوهيَّةِ والأحديَّةِ، ومقامُ نذارةٍ وتهديدٍ للمشركينَ، والقهّارُ مناسبٌ لهُما غايةَ المناسبةِ[5].

دلالة صيغةِ (فعّالٍ):

تهويلُ الوعيدِ للمُشرِكِ العَنيدِ

عُبِّرَ بصيغةِ (فعّالٍ) في قولِ اللهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾؛ لِما تدلُّ عليهِ هذهِ الصِّيغةُ مِنَ المبالغةِ في اتِّصافِهِ تعالى بكونِهِ قاهرًا، وفي ذلكَ مزيدُ ملاءمةٍ لمقامِ تقريرِ الوحدانيَّةِ، والتَّشديدِ في الوعيدِ للمُشرِكِ العنيدِ[6].

نكتةُ الجمعِ بينَ الوحدانيَّةِ والقهرِ:

المُتفرِّدُ بالوحدانيَّةِ مُستغنٍ عن الأعوانِ

جُمِعَ بينَ الواحدِ والقهّارِ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 33.
(2) الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 318، والآلوسي، روح المعاني: 12/ 210.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 33، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 295.
(4) التفتازاني، المختصر، ص: 681.
(5) الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 318، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 443.
(6) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 443.

﴿ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾، وقد غلبَ اقترانُ هاتينِ الصِّفتينِ في القرآن الكريم، وذلكَ لمعنًى بديعٍ، وهو أنَّ الغلَبةَ والإذلالَ مِنْ ملوكِ الدُّنيا إنَّما تكونُ بأعوانِهم وجُندِهم وعُدَدِهم، واللّٰهُ تعالى يقهرُ كلَّ الخلقِ، وهو واحدٌ أحدٌ، فردٌ صَمَدٌ، مُستغنٍ عن ظهيرٍ ومُعينٍ[1].

نكتةُ تقديمِ ﴿ٱلۡقَهَّارُ﴾:

الآيةُ تفيضُ بالتَّهديدِ والوعيدِ

قُدِّمَ ﴿ٱلۡقَهَّارُ﴾ في قولِ اللّٰهِ: ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ على ما بعدَهُ مِنَ الأوصافِ ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾؛ لأنَّ المقامَ مقامُ إنذارٍ، فقُدِّمَ ﴿ٱلۡقَهَّارُ﴾ للاهتمامِ بهِ[2]، ولمناسبةِ الاقتصارِ على وصفِ الإنذارِ صريحًا في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ﴾[3].

سرُّ الوصفِ بالرُّبوبيَّةِ:

تفرُّدُهُ تعالى بالخلقِ والملكِ مِنْ دلائلِ التَّوحيدِ

وصفَ اللّٰهُ تعالى نفسَهُ في قولِهِ: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ بأنَّهُ ربُّ السَّماواتِ والأرضِ وما بينَهما: لتقريرِ التَّوحيدِ[4]، ووجهُ التَّقريرِ: أنَّ ربوبيَّتَهُ للمذكوراتِ تقتضي أنَّهُ الخالقُ لها، ولا يَقدِرُ على هذا الخلقِ سواهُ، فخلْقُ السَّماواتِ عظيمٌ، لِما فيها مِنَ العُلوِّ والسَّعةِ والإحكامِ والحفظِ والزِّينةِ والمنافعِ، وخلقُ الأرضِ أيضًا عظيمٌ، لِما هي عليهِ مِنَ السَّعةِ والكثافةِ والضَّخامةِ، ولِما فيها مِنَ العجائبِ[5]، وفي التَّصريحِ بالرُّبوبيَّةِ للمذكوراتِ أيضًا بيانُ أنَّهُ لا شريكَ لهُ في شيءٍ منها، وذلكَ يُقوّي مقامَ التَّنصيصِ على التَّوحيدِ[6]، والحاصلُ أنَّ في ذكرِ هذهِ الصِّفةِ إدماجًا للاستدلالِ

(1) السمين، عمدة الحفاظ: (قهر).
(2) الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 318.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 210.
(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 33.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 413.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 295.

على تعيينِ المعبودِ بالحقِّ، بذكرِ ما هو مِنْ خصائصِهِ المُقتضي تفرُّدَهُ بالإلهيَّةِ[1].

هذا سرُّ مناسبة ذِكر الرُّبوبيَّة عقبَ الألوهيَّة، وأمّا مناسبته لذكر القهر قبله؛ فهي أنَّ اللهَ ﷻ لمّا أخبرَ بأنَّهُ القهّارُ لما دونَهُ؛ أردفَ القَهْرَ باللُّطفِ والتَّربيةِ[2]، وذلكَ جارٍ على عادةِ القرآنِ بتعقيبِ التَّرغيبِ بالتَّرهيبِ وعكسِهِ.

نكتةُ التَّعبيرِ بالرُّبوبيَّةِ دونَ الأُلوهيَّةِ:

مَقام الرُّبوبيَّة أنسبُ للاستدلال لمقام الوحدانيَّة

ربَّما كان الظّاهرُ أنْ يقالَ: (إلهُ السَّماواتِ والأرضِ وما بينهما)؛ لتقدُّمِ ذكرِ الإلهِ في قولِهِ: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، لكنْ عُبِّرَ بالرُّبوبيَّةِ - ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ - لدلالةِ لفظِ الرَّبِّ على أنَّهُ ﷻ خالقُ السَّماواتِ والأرضِ وما بينَهما، ومالِكُهُ[3]، ومُفوَّضٌ إليهِ تدبيرُ جميعِ أمورِ المذكوراتِ[4]، وذلكَ أنسبُ بمقامِ الاستدلالِ على وحدانيَّتِهِ تعالى؛ إذ هذا الوصفُ مُختصٌّ بهِ سبحانَهُ، فيستلزمُ اختصاصَهُ بالألوهيَّةِ؛ إضافةً لما في وصفِ الرَّبِّ مِنَ الإشارةِ إلى إنعامِهِ ﷻ على عبادِهِ بالنِّعَمِ الَّتي لا تتناهَى، ومنها خلْقُ السَّماواتِ والأرضِ وما بينَهما ممّا تدورُ عليهِ مصالحُ العبادِ، والعاقلُ لا يصرفُ العبادةَ لغيرِ الخالقِ المُنعِمِ.

نكتةُ الإضافةِ إلى السَّماواتِ:

الدَّلالة على الحفظ والتَّدبير مِنَ الخالق لمخلوقاته

أُضيفَ الرَّبُّ إلى السَّماواتِ وما عُطِفَ عليها في قولِ الباري ﷻ: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ إضافةَ المالكِ إلى المملوكِ الَّتي لا ينازِعُ فيها عاقلٌ؛ للدَّلالةِ على أنَّ مَنْ كانَ شأنُهُ كذلكَ، فهو الخليقُ بالإفرادِ بالأُلوهيَّةِ والعبادةِ، وفي هذهِ الإضافةِ أيضًا إشعارٌ بفَيَضانِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 86.
(2) النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: 5/ 606.
(3) الزمخشري، الكشاف: 4/ 104.
(4) الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 318.

الخيرِ والحفظِ والتَّدبيرِ مِنَ الخالقِ إلى مخلوقاتِهِ، فيا لَخسارةِ مَنْ أعرضَ، ونأى بجانبِهِ عن جَنابِ النّورِ!

دلالةُ تعريفِ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾:

جنس السماوات والأرض مربوبٌ للهِ

الظّاهرُ أنَّ تعريفَ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾؛ للجنسِ المُستغرِقِ لجميعِ أفرادِهِ؛ لأنَّ المقامَ مقامُ بيانِ تفرُّدِهِ تعالى بالأُلوهيَّةِ والوحدانيَّةِ، وذلكَ يستلزمُ الشُّمولَ؛ إذ ربوبيَّتُهُ تعالى محيطةٌ بكلِّ مخلوقٍ.

نكتةُ تقديمِ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾:

خلقُ السَّماواتِ أعظمُ وأعجبُ مِنْ خلقِ الأرضِ

قُدِّمَتِ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٦٥ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، ومن أسبابِ التَّقديمِ أنَّ خلْقَ السَّماواتِ وانتظامَها أعجبُ وأدلُّ على القدرةِ والعلمِ، فيكونُ تقديمُها أنسبَ بمقامِ الاستدلالِ على تفرُّدِهِ تعالى بالألوهيَّةِ والعبادةِ، وهذا يتناسب في سياقِ الرَّدِّ على المشركين الذين اتَّخذوا الأصنامَ آلهةً، فهي عاجزةٌ عن أيِّ خلقٍ، فضلًا عن ربوبيَّةِ السَّماواتِ.

نكتةُ جمعِ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وإفرادِ ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾:

السَّموات عوالم والأرضُ عالَمٌ واحدٌ

جُمِعَتِ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، وأُفرِدَتِ ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٦٥ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾؛ لأنَّ المقامَ لبيانِ القدرةِ[1]، والجمعُ أنسبُ بهِ؛ إذ خلقُ الجمعِ أدلُّ على القدرةِ مِن خلقِ المفردِ، وإنْ كانَ الكلُّ سواءً في قدرةِ اللّهِ، ولأنَّ الأرضَ عالَمٌ واحدٌ، والسَّماواتِ عوالمُ مُتعدِّدةٌ، ولأنَّ جمْعَ الأرضِ: (أرَضونَ) و(أرْضاتٌ) و(أُروضٌ)، والنُّطْقُ بهِ ثقيلٌ، فلا يناسبُ فصاحةَ القرآنِ، فاختيرَ المفردُ الأخفُّ.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 413.

براعةُ الطِّباقِ:

الكونُ كلُّهُ شاهدٌ على الوحدانيَّةِ

جُمِعَ بينَ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ في قولِ الباري ﷻ: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ رِعايةً لمُحسِّنٍ معنويٍّ، وهو الطِّباقُ، وفائدتُهُ هنا التَّنبيهُ على أنَّ الكونَ كلَّهُ - مِنَ العَرْشِ الذي هو غايةُ الارتفاعِ، إلى الفَرْشِ الَّذي هو غايةُ الانخفاضِ - مربوبٌ للهِ تعالى، ومقهورٌ بسلطانِهِ، وهو دليلٌ باهرٌ على وحدانيَّتِهِ ﷻ وقدرتِهِ.

نكتةُ عطفِ ﴿وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾:

سلطانُ الرُّبوبيَّةِ شاملٌ لكلِّ الموجوداتِ

عُطِفَ قولُ اللهِ تعالى: ﴿وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ على السَّماواتِ والأرضِ في قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾؛ لتأكيدِ شمولِ ربوبيَّتِهِ ﷻ كلَّ ما يحيطُ بالعبادِ، وفي ذلكَ ملاءمةٌ لمقامِ الاستدلالِ على أُلوهيَّةِ اللهِ تعالى ووحدانيَّتِهِ، فإنَّهُ إذا كانَ كلُّ شيءٍ مملوكًا لهُ سبحانَهُ، ومربوبًا لهُ، فما عُذْرُ مَنْ صرفَ العبادةَ لغيرِهِ، وحادَ بها عن الصِّراطِ المستقيمِ؟

دلالةُ (ما):

ضلالُ مَنْ جعلَ المخلوقَ شريكًا للخالقِ

جيءَ باسمِ الموصولِ (ما) في قولِ اللهِ تعالى ذكرُهُ: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾؛ لأنَّهُ مِن ألفاظِ العمومِ، فيناسبُ مقصودَ الكلامِ، مِنْ حيثُ إنَّ شمولَ ربوبيَّتِهِ تعالى للسَّماواتِ والأرضِ وجميعِ ما بينَهما مِنَ الفضاءِ والهواءِ وغيرِهما مِنَ العناصرِ، والنَّباتِ، والحيواناتِ العُقلاءِ وغيرِها: دليلٌ على قَهْرِهِ وتفرُّدِهِ بجميعِ الأمرِ[1]، فكيفَ يُتوهَّمُ أنْ يكونَ لهُ شريكٌ مِنْ مخلوقاتِهِ؟[2].

سرُّ التَّعبيرِ بـ(ما):

كلُّ الخلقِ تحتَ قهرِهِ سبحانه

يجوزُ عندَ اختلاطِ العُقَلاءِ بغيرِهم استعمالُ (مَنْ) الَّتي أغلبُ إطلاقِها على العُقَلاءِ، و(ما) الَّتي هي بعكسِ ذلكَ؛ وقد استُعمِلَ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 414.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 234.

(ما) - الَّتي لغير العقلاء - في قولِ اللهِ تعالى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ دفعًا لتوهُّم أنَّ تمكُّنَهُ تعالى مِنَ العُقَلاءِ دونَ تمكُّنِهِ مِنْ غيرِهم، لِما لهُم مِنَ الحيَلِ الَّتي يحترزونَ بها عن المحذورِ، وينظرونَ بها في عواقبِ الأمورِ. فأشارَ بـ(ما) إلى أنَّ حكمَهُ فيهم كحكمِهِ في غيرِهم، مِنْ غيرِ فَرْقٍ[1] بينهما؛ ولا غَرْوَ في ذلكَ، فالمقامُ مقامُ إظهارِ القدرةِ والرُّبوبيَّةِ.

سرُّ الوصفِ بالعزيزِ:

الغالبُ لكلِّ ما سواهُ هو المُستحِقُّ للعبادةِ

الوصفُ بالعِزَّةِ في قولِ اللهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ لتقريرِ التَّوحيدِ؛ لأنَّ هذهِ الصِّفةَ تقتضي أنْ يغلبَ غيرَهُ، ولا يُغلَبَ، ومعَ الشِّركةِ لا يتمُّ ذلكَ[2]، ولتهديدِ المشركينَ المُعرِضينَ عن الإيمانِ والتَّوحيدِ[3]، وللتَّمهيدِ للوصفِ بالغَفّارِ، ببيانِ أنَّهُ الغفّارُ عن عِزَّةٍ ومقدرةٍ، لا عن عجزٍ ومَلَقٍ[4].

نكتةُ استعمالِ صيغةِ (فعيلٍ):

العزَّةُ المُطْلَقة لا تكون إلّا لله

جيءَ بصيغةِ (فعيلٍ) مِنَ العزَّةِ في قولِ اللهِ تعالى ذكرُهُ: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ للمبالغةِ في اتِّصافِهِ جلَّ ذكرُهُ بها، أي: (العزيزُ البالغُ العِزَّةِ، الَّذي لا يغالبُهُ أحدٌ)، وفيها دلالةٌ على استمرارِ العزَّةِ ودوامِها، بخلافِ عزَّةِ البشرِ.

سرُّ اقترانِ العزيزِ بالغفّارِ:

عزَّةُ اللهِ مقترنةٌ بمغفرتِه، ومغفرتُه مستنِدةٌ إلى عزَّتِه

قرنَ اللهُ ﷻ العزَّةَ بالمغفرةِ في قولِه تعالى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾؛ للدلالةِ على كمالِ كلٍّ منهما، بخلافِ انفرادِ كلِّ صفةٍ منهما، فلو غلبتِ المغفرةُ على العزَّةِ، أو غلبتِ العزَّةُ على المغفرةِ؛ لم يكنْ هذا الكمالُ الجامعُ بينهما، فعزَّتُه

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 414.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 210.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 33.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 295.

سبحانه لا تَخلوا من المغفرة، كما أنَّ مغفرتَهُ مقترِنةٌ بالعزَّة، بخلاف من يتَّصف بالعزَّة من المخلوقين، فإنَّه كثيرًا ما تَغلِب عزَّتُه مغفرتَه، ومن اتَّصف بالمغفرة من الخلق كثيرًا ما يكون ضعيفًا غيرَ عزيز، أمّا المولى ﷻ؛ فيجمع صفةَ الكمال فيهما منفردةً ومجتمعةً.

ففي اقترانهما بيانُ أنَّ مغفرتَه صادرةٌ عن عزَّةٍ، لا عن عجزٍ، كما قال تعالى على لسانِ عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: 118].

كما أنَّ في اقتران العزَّة بالمغفرة هنا نوعَ مقابلةٍ، فَصِفةُ العزَّة تأكيدٌ لصفةِ القَهْرِ في قولِه تعالى: ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾، وصفةُ المغفرةِ تأكيدٌ لصفةِ اللُّطفِ في قولِه: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾، فمِنْ عِزَّتِه أدخلَ أهلَ الاستكبارِ النّارَ، ولمغفرتِه أعدَّ الجنَّةَ لأهلِ الاستغفارِ[1].

سرُّ تكرارِ ما يدلُّ على الوعيد:

المشركونَ جديرونَ بكلِّ وعيدٍ

كُرِّرَ في الآيتين: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ ما يدلُّ على الوعيدِ - وهو اسمُ القهّار، واسمُ العَزيز - لأنَّ المطلوبَ الأهمَّ هو الإنذارُ، لا البِشارةُ[2]، فالسّياقُ لإنذارِ المشركينَ وردْعِهم عمّا هم عليه مِنَ الشِّركِ، ولذلك كان مُفتَتَحُ الآية: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾.

سرُّ تقديمِ العزيزِ على الغفّارِ:

قُدِّمَ ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ على ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ في قولِ اللهِ تعالى ذكرُهُ: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾؛ تغليبًا لجانبِ النِّذارةِ اللّائقةِ بحالِ المشركينَ على جانبِ البِشارةِ[3]، ولأنَّ في تأخيرِ ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ مراعاةً للفاصلةِ.

(1) النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: 5/ 606.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 414، وابن التمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 444.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 234.

سرُّ الوصفِ بالغفّارِ:

فتحُ بابِ التَّوبةِ للمشركين

الإتيانُ بوصفِ الغَفّار في قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٦٥ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾؛ لاستدعاءِ المشركينَ إلى التَّوحيدِ بعدَ تهديدِهم بمفادِ اسمِ القَهّار، ومفادِ اسمِ العَزيز؛ لئلّا ييأسوا مِنْ قَبولِ التَّوبةِ بسببِ كثرةِ ما سيقَ إليهم مِنَ الوعيدِ؛ جريًا على عادةِ القرآنِ في تعقيبِ التَّرهيبِ بالتَّرغيبِ، والعكسِ[1]، وفي ذلكَ تقريرٌ للتَّوحيدِ، بالتَّنبيهِ على أنَّ هذا الموجودَ هو الَّذي تجبُ عبادتُهُ؛ لأنَّهُ هو الَّذي يُخشَى عقابُهُ، ويُرجَى ثوابُهُ[2].

نكتةُ استعمالِ صيغةِ (فعّالٍ):

إنَّ ربَّـكَ واسـعُ المغفرةِ

جيءَ بصيغةِ (فعّالٍ) في قولِ الباري ﷻ: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾؛ لإفادةِ المبالغةِ في اتِّصافِهِ تعالى بالمغفرةِ، أي: (المبالغُ في المغفرةِ، يغفرُ ما يشاءُ لِمَنْ يشاءُ[3]، والَّذي يتكرَّرُ منهُ سَترُ الذُّنوبِ لعباده)[4]؛ لأنَّ الإنسانَ يُخطِئُ بطبعه، ومن عادته كثرةُ الذنوب، فتناسب الوصفُ بالغفّار على صيغة (فَعّال)؛ لطمْأنَة عبادِه بواسِعِ عفوه.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإنذارُ والتَّخويفُ:

الإنـــذارُ أنسبُ بحالِ النَّبيِّ ﷺ معَ المشركينَ

الفرقُ بينَ الإنذارِ والتَّخويفِ: أنَّ الإنذارَ تخويفٌ معَ التَّنبيهِ على موضعِ المخافةِ، مِنْ قولِكَ: نَذِرْتُ بالشَّيءِ، إذا علمتَهُ، فاستعددتَ لهُ، فإذا خوَّفَ الإنسانُ غيرَهُ، وأعلمَهُ حالَ ما يُخوِّفُهُ بهِ؛ فقد أنذرَهُ، وإن لم يُعلِمْهُ؛ لم يقلْ: أنذرَهُ، بل يقالُ: خوَّفَهُ،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 295.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 104.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 234، والآلوسي، روح المعاني: 12/ 210.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 414.

فالإنذارُ فيه إحسانٌ من المُنذِر، بتوجيه العاصي وإعلامه بما يؤدّي إلى هلاكه، وهذا عين الرَّحمة[1]، وقد عُبِّرَ بالإنذارِ هنا؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قد بيَّنَ للكفرةِ حالَ ما خوَّفَهم بهِ، وحذَّرَهم منهُ.

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 242.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والأربعون،
سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 49 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-51-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 49 : المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-51-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1524626 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»